

بالرغم من اعتراض الإسلام على العقائد المسيحية الأساسية فإن القرآن يضي على المسيح صفات وكرامات، تجعله فوق مستوى البشر. وهذه الميّزات تنبع من سيرته، ومن رسالته ومن شخصيته. وحين نقارن بين هذه الميزات والميزات التي ذكرها القرآن للأنبياء والمرسل، نرى أنه لا يعطي أحداً منهم حتى محمداً شيئاً من ميّزات المسيح :

1 الحَبَابُ الْعَجِيبُ. كَمَا نَقَرَأُ فِي سُورَةِ الْمُتَحَرِّيمِ : وَمَرِيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَوَدَقْنَا بِكَ لَمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ بِهَا كِتَابٌ مِنْ الْقَانِتِينَ الْمُتَحَرِّيمِ 66 : 12، الْأَنْبِيَاءُ 21 : 91.

قال المفسر الرازي : نفخنا فيه من روحنا، أي في عيسى.. لأن عيسى كان في بطنها. واختلفوا في النافخ. قال بعضهم : كان النفخ من الله، لقوله فنفخنا فيه من روحنا. وظاهره أن النافخ هو الله تعالى. وقال آخرون النافخ هو جبريل. لأن الظاهر من قول جبريل لأهب لك.

ثم اختلفوا في كيفية النفخ : 1 قول وهب إن جبريل نفخ في جيبها حتى وصل الرحم. 2 في ذيلها فوصلت إلى المخرج. 3 قول السدي : أخذ بكمها فنفخ في جنب درعها، فدخلت النفخة صدرها، فحملت. فجاءتها امرأة زكريا، فالتزمتها. فلم التزمتها علمت أن ها حبل، وذكرت مريم حالها. فقالت امرأة زكريا، إنني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك. فذلك قوله مصدقاً بكلمة من الله، 4 إن النفخة كانت في فمها، ووصلت إلى بطنها فحملت في الحال.

وعن ابن عباس أنه قال : نفخ جبريل في جوف الدرع ومدّه بإصبعه ونفخ فيه، وكل ما في الدرع من خرق ونحوه، فإنّه يقع عليه اسم المخرج.

وقيل أحصنت تكلّفت في عفتها والمحصنة العفيفة ونفخنا فيه من روحنا أي فرج ثوبها. وقيل خلقنا فيه ما يظهر به الحياة في الأبدان. وقال مقاتل في شرح وصدقت بكلمات ربها يعني بعيسى. ويدل عليه قراءة الحسن بكلمة ربها. وسمي عيسى كلمة الله في عدة مواضع من القرآن.

2 الولادة العجيبة. يذكر لنا القرآن هذا الحوار بين مريم العذراء وملاك الرب حين جاء ليبيشّرها، قال : إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلِيمٌ هَدِيدٌ وَإِنِّي لَمِّنْ أَسْمَاءُ وَرَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا مَرِيَمَ 19 : 21-19.

وقد علّق البيضاوي على ولادة يسوع المعجزية بقوله : تلك ميّزة تفرّد بها المسيح على العالمين والمرسلين. لأنّه وُلِدَ دون أن تضمه الأضلاب والأرحام الطوامس.

أمّا المفسر الرازي، فعلّق على الموضوع هكذا :

1 العبارة لأهب لك غلاماً زكياً قال : الزكيّ يفيد أموراً ثلاثة : المألّف أنّّه المطاهر من الذنوب. الثاني أنّّه ينمو على التزكية، لأنّه يُقال في من لا ذنب له زكي، وفي المزرع النامي زكي، الثالث المنزاهة والطهارة.

2 العبارة ولنجعل آية للناس ورحمة أي لنجعل خلقه آية للناس إذ وُلِدَ من غير ذكر. ورحمة من أي يرحم عبادنا بإظهار هذه الآيات، حتى تكون دلائل صدقه أبهر، فيكون قبول قوله أقرب.

وقال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسير غلاماً زكياً وذلك بالاستناد إلى قول أبي عمرو : الغلام الزكي هو المطاهر من الذنوب. وكذلك تقول العرب : غلام زكٍ وزكي، وعالٍ وعلي.

3 كونه مباركاً نقراً في سورة مريم هذه العبارات عن لسان المسيح : وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيَّنَّمَا كُنْتُ مَرِيَمَ 19 : 31.

قال الطبري عن يونس بن عبد الأعلى، عن سفيان، إن تفسير جعلني مباركاً هو جعلني معلماً للخير.

وعن سليمان بن عبد الجبار، عن محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي، قال: سمعت ابن الوردى مولى بني مخزوم، قال: لقي عالم لما هو فوقه من العلم، فقال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من علمية؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده. وقد أجمع الفقهاء على قول الله: وجعلني مباركاً أينما كنت.

4 كونه مؤيِّداً بالروح القدس وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ سورة البقرة 2: 253.

قال ابن عباس: إن روح القدس، هو الاسم الذي كان يُحيى به عيسى الموتى. وقال أبو مسلم: إن روح القدس الذي يجوز أن يكون الروح الطاهرة التي نضخها الله تعالى فيه، وأبانه بها عن غيره ممن خلق من اجتماع نطفتي الذكر والأنثى.

الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرَّمْتَهُ أَلْقَاهُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ فَامْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ سورة النساء 4: 171.

وخلاصة هذه الآيات، أن الله أعطى عيسى في ذاته روحاً، وأن هذا الروح يؤيِّده في شخصيته. ومع ذلك فقد اختلف علماء الإسلام في تفسير الروح القدس الذي تأتيه المسيح به:

قال ابن أنس: هو الروح الذي نضخ في المسيح، أضافه الله إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً. والقدس هو الله، يدل عليه قوله فنضخنا فيه من روحنا.

وقال السدي وكعب: روح القدس هو جبريل. وتأييد عيسى بجبريل هو أنه كان قريبه ورفيقه، يعينه ويسير معه حيثما سار، إلى أن صعد به إلى السماء.

وقال ابن جبير: روح القدس هو اسم الله الأعظم، وبه كان عيسى يحيى الموتى.

وقال القاشاني: الله خاصة طهر جسم عيسى عن الأقدار الطبيعية، فهو روح متجسد في بدن مثالي روحاني. وذلك من صفاء جوهر طبيئته ولطافتها وصفاء طينة أمه وطهارتها. ونزه روحه وقدس من المتأثر بالهيات الطبيعية والصفات المدنيّة، لتأييده بروح القدس الذي هو على صورته.

وقال ابن عطا: إن أحسن النبات ما كان ثمرته مثل عيسى روح الله.

وقال ابن عباس: إن الروح الذي نضخ فيه، والقدس هو الله فهو إذاً روح الله.

5 رَفَعْتَهُ عِنْدَ وِفَاتِهِ إِذْ نَقَرْنَا فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ارْفُوعِي رَأْفِكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا.. آل عمران 3: 55.

قال المفسر الرازي: لتفسير هذه الآية عدّة وجوه منها:

الوجه الأوّل: المراد بالرفعة إنّي رافعك إلى محلّ كرامتي. وجعل ذلك رفعاً إليه للتفخيم والتعظيم. ومثلها قوله: إنّي ذاهب إلى ربي هذه العبارة مستعارة من الإنجيل.

الوجه الثاني: في التأويل أن يكون قوله ورافعك إليّ معناه أنه يرفعه إلى مكان لا يملك أحد المحكم عليه فيه. لأن في الأرض قد يتولّى الخلق أنواع الأحكام، أم في السموات فلا حاكم في الحقيقة وفي المظاهر إلا الله.

6 عصمته في رسالته كما في سيرته يتوهم البعض أن العصمة في الرسالة تقتصر حتماً بالعصمة في السيرة ولكن نصوص القرآن تنقض هذا الوهم. إذ نقرأ في سورة الكثير من النصوص التي تفيد أن حياة الأنبياء لم تكن بلا لوم، لا قبل الرسالة ولما بعدها. أم المسيح في القرآن فسيرته معصومة كرسالته. فقد شهد الملائك بذلك إذ قال لهم: أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً. وقد قال البيضاوي في تفسير كلمة زكي إن عيسى كان مترقياً من سن إلى سن.

7 تَفَرَّدَ رَسَالَتُهُ بِالْمَعْجَزَاتِ فَكَمَا انْفَرَدَتْ رَسَالَتُهُ عَلَى الْمُرْسَلَاتِ جَمِيعاً بِتَأْيِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، انْفَرَدَتْ أَيْضاً بِالْمَعْجَزَاتِ وَبِاسْتِجْمَاعِهَا، كَمَا لَمْ تَجْتَمِعْ لِغَيْرِهِ. إِذْ نَقَرْنَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ 2: 253: وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْمُبِينِ وَالْبَيِّنَاتِ هِيَ الْعَجَائِبُ.

قال البيضاوي: لقد خصَّه الله بالتعيين وجعل معجزاته سبب تفضيله على المرسل. لأنَّها آيات واضحة، ومعجزات عظيمة، لم يستجمعها غيره.

8 علمه بالغيب جاء في سورة المزخرف 43: 57 و 61: وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ... وَإِنَّهُ لَ عَلِيمٌ لِّسَاعَةِ.

قال الجلالان في تفسير لعلم للساعة إنَّه عيسى لعلم الساعة يعلم بنزولها. ومتى ذكرنا أنَّ المعروف عند الناس أنَّ الله ينفرد عن خلقه بأنَّه وحده عنده علم الساعة، ندرك الميزة التي أفرد بها القرآن للمسيح.

9 إنَّه الشفيق المقرَّب جاء في سورة الزمر 39: 44 نرى أنَّ القرآن يحصر الشفاعة لله وحده، إذ يقول: لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً، وَمَعَ ذَلِكَ، فَأَحَدُ نَصُوصِ الْقُرْآنِ يَلْمُحُ إِلَى كَوْنِ الشَّفَاعَةِ أَيْضاً مِنْ أَمْتِيَّاتِ الْمَسِيحِ إِذْ يَقُولُ: إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ 3: 45.

قال الجلالان في تفسير هذه الآية: وجيهاً في الدنيا بالنبوة، وفي الآخرة بالشفاعة والدرجات العُلى، ومن المقرَّبين عند الله.

وأخرج الطبري عن ابن حميد، عن سلمة عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر، قال: وجيهاً في الدنيا أي ذو وجه ومنزلة عند الله، وفي الآخرة ومن المقرَّبين يعني أنه ممن يقربه الله يوم القيامة فيسكنه في جواره ويدنيه منه.

وقال الرازي: وجيهاً في الدنيا بسبب أنَّه يُستجاب دعاؤه، ويحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، ووجيه في الآخرة أنَّه يجعله شفيقاً أمته.

أمَّا قوله ومن المقرَّبين فضيه وجوه:

المؤلَّو أنَّه تعالى جعل ذلك بالمدح العظيم للملائكة فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم في هذه الصفة.

الثاني، إنَّ هذا الوصف كالمتنبيه على أنَّه سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة.

الثالث، إنَّه ليس كلَّ وجيه في الآخرة يكون مقرَّباً. لأنَّ أهل الجنة على مراتب ودرجات.